

20

2011

الكتاب العربي للعلوم النفسية
إصدارات محكمة في علم النفس

نحو مدرسة عربية في علوم النفس

سلسلة الإصدارات المكتبية المحكمة لـ "شمن"

الإصدار العشرون



عدد 20 - 2011



إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

أوقاتنا وطريقنا نحو العلم النفس
في العالم العربي (جزء أول)
الاتصال على جائزة 2010
عن العالم

عمر خارون الخليفة

الفهرس

4	شكر وعرفان
6	إهداء
7	نبذة عن المؤلف
8	مقدمة
11	الفصل الأول: ما هو توطيبن علم النفس؟
11	1.1. مفهوم التوطيبن
13	2.1. مقاربات في مفهوم التوطيبن
15	3.1. مفهوم علم النفس الوطني
18	4.1. علم النفس الوطني والعلوم المجاورة
21	5.1. علم النفس عبر الثقافي
23	6.1. مدخل علم النفس الوطني والعالم العربي
26	7.1. المراجع العربية والأجنبية
30	الفصل الثاني: لماذا توطيبن علم النفس في العالم العربي؟
30	1.2. مقدمة
30	2.2. الاستعمار السيكولوجي وتوطيبن علم النفس
33	3.2. علم نفس الولايات المتحدة واللغة الإنجليزية
36	4.2. المصادقية الخارجية والداخلية لعلم النفس
38	5.2. مشكلات التدريب غير المناسب لعلماء النفس
40	6.2. التفضيلات العقلية لدى علماء النفس العرب
42	7.2. القيم والمشكلات الوطنية لعلم النفس
44	8.2. الحس الوطني أو التوطيبي لعلم النفس
46	9.2. خلاصة
46	10.2. المراجع العربية والأجنبية
52	الفصل الثالث: كيف يكون توطيبن علم النفس؟
52	1.3. أدب علم النفس التوطيبي في العالم الثالث
55	2.3. البيئة الاجتماعية وتوطيبن علم النفس
58	3.3. التمثيل الجمعي وتوطيبن علم النفس
59	4.3. الأسرة العربية وتوطيبن علم النفس
60	5.3. الشخصية العربية وتوطيبن علم النفس
64	6.3. علم نفس البوب وتوطيبن علم النفس
66	7.3. بعض الموضوعات البحثية الأخرى لتوطيبن علم النفس
69	8.3. خلاصة

70	9.3. المراجع العربية والأجنبية
76	الفصل الرابع: متى بدأ توطين علم النفس في العالم العربي؟
76	1.4. تاريخ توطين علم النفس
78	2.4. تأثير التراث العربي-الإسلامي في علم النفس
79	3.4. رؤى حول توطين علم النفس
83	4.4. الجهود الفردية في توطين علم النفس
84	5.4. أبوحطب ومشكلات علم النفس في العالم العربي
86	6.4. حجازي وسيكولوجيا التخلف الاجتماعي
88	7.4. رمضان أحمد وعلم النفس في الدول العربية
90	8.4. أحرشوا وواقع التجربة السيكلوجية في العالم العربي
92	9.4. سرزبان والبحث عن علم نفس مناسب في العالم العربي
95	10.4. المراجع العربية والأجنبية
98	الفصل الخامس: مالك بدري وتوطين علم النفس
98	1.5. الحياة الدراسية والمهنية
99	2.5. المؤلفات المنشورة
100	3.5. كتاب أزمة الايدز
103	4.5. رؤى حول كتاب أزمة الايدز
104	5.5. نموذج بدري لمكافحة الايدز
106	6.5. بدري وتوطين علم النفس
111	الفصل السادس: الزبير بشرطه وتشريح النصوص السيكلوجية
111	1.6. المسيرة الأكاديمية
113	2.6. طه والبحث السيكلوجي
115	3.6. طه وقوة تأثيره على طلابه وأحفاده
118	4.6. وطه وبعض المساهمات العامة
120	5.6. رؤى من طلاب طه حول أستاذهم
122	6.6. طه وبناء علم النفس في السودان
124	7.6. قيادة طه لحركة تشريح النصوص السيكلوجية
129	8.6. المراجع العربية والأجنبية

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر أجذله لأساتذتي الذين تعلمت منهم علم النفس في مراحل مختلفة من حياتي. أخص منم بجامعة الخرطوم بالسودان أستاذي بروفسير الزبير بشير طه الذي تعلمت على يديه مبادئ البحث العلمي من خلال إشرافه على رسالة الماجستير التي قدمتها لجامعة الخرطوم عام 1987 كما تعلمت منه لاحقاً الكثير في الاهتمام بالتراث السيكولوجي. والشكر موصول لأستاذي د. شمس الدين زين العابدين الذي أشرف على بحث تخرجي في سنة الامتياز الخامسة بالجامعة عام 1985. والتقدير لأستاذي د. يوسف حسن يوسف، وبروفسر ميلر، و د. محمد عبد العظيم الذين تعلمت منهم الكثير من خلال تدريسهم لمقررات علم النفس. كما أخص بالتقدير بروفسر مالك بدري الذي كان لمؤلفاته الأثر الكبير في الاهتمام بالتراث السيكولوجي، والعرفان موصول لبروفسير قاسم بدري الذي بلور اهتمامي بموضوع "الثقافة والإبداع" في رسالة الدكتوراه التي قدمتها في بريطانيا من خلال بحثه الذي قدمه في مؤتمر جمعية الدراسات السودانية بجامعة درهام 1991. وهناك مجموعة من الأصدقاء والزملاء كانت لهم تأثيرات مختلفة في اهتماماتي البحثية في علم النفس في مراحل مختلفة من حياتي منهم الدكتوراة إخلاص عشرية، ود. بشير عبد الواحد، ود. محمد محبوب هارون، ود. محمد صلاح خليل والذي احتضنتني أسرته الكريمة إبان قدومي لأول مرة ببريطانيا، ود. قيصر موسى الزين، وأ. ابراهيم جعفر، ود. صلاح الجبلي، والفنان عادل الأمير، والأستاذ محمد إبراهيم علي، والأستاذ أحمد الجعلي، ود. عفاف الأمير، ود. أميمة أحمد إبراهيم، والأستاذة نوال محمد خير، والأستاذ التاج محمد على الخليفة. كما أتقدم بالشكر بروفسير هادي التجاني الذي بلور اهتمامي بموضوع اليوسيماس وتنشيط الدماغ الأيمن. ومن بريطانيا، أخص بالشكر د. جورج اردوس، أستاذ علم النفس بجامعة نيوكاسل ابن تايين، الذي أشرف على رسالتي للدكتوراه عن أثر بعض العوامل الثقافية والاجتماعية في الإبداع بالنسبة للطلاب السودانيين، والعرفان موصول لبروفسير ماكس هاملتون الذي كنت ومازلت أتجاوز معه كثيراً بخصوص قضايا علم النفس في العالم وتطبيقاته خاصة في مجال المخابرات. كما أخص بالعرفان دوروثي ريدي،

الفنية بقسم علم النفس، والتي كان لتشجيعها دورا كبيرا في تكيفي نفسيا بالقسم، والأستاذة الصديقة رينشل سيلكين فضلا عن العقبري بروفيسر ريتشارد لين من جامعة ألستر بايرلنדה الذي نشرت معه العديد من الأوراق عن معدلات الذكاء في العالم العربي. وفي البحرين، أخص بالشكر بروفيسر مصطفى حجازي، أستاذ علم النفس بجامعة البحرين، والذي أتاور معه كثيرا بخصوص مشكلات علم النفس في العالم العربي وتوطينه، ود. حسان مانع، أستاذ البصريات بجامعة البحرين، والذي كنا نتباحث معا في قراءة كتاب المناظر لابن الهيثم وفي إحياء وتجديد تجاربه. وفي جامعة كويوتو باليابان أخص بالشكر بروفيسر توشيو سوقمان الذي قضيت معه فترة كأستاذ زائر بمعمله والذي دفع اهتمامي بموضوع البيئة وتوطين علم النفس. وفي تونس شكري الجزيل للدكتور جمال التركي مؤسس ورئيس شبكة العلوم النفسية العربية والذي يحمل هما كبيرا بخصوص توطين العلوم النفسية في العالم العربي وكثيرا ما تتقاطع رؤانا المشتركة في هذه الرسالة، ولا يفوتني أن أزجي شكري لطلابي الأعزاء الأجلء والمثابرين في "مجموعة طائر السمير" البحثية على مستوى البكالوريوس والماجستير والدكتوراة وما بعد الدكتوراة خاصة المهتمين منهم والمنفعلين بحركة توطين علم النفس والذين يساهمون في هندسة صغيرة علم النفس على المستوى الإقليمي والعالمي، وشكري الخاص للذين قالوا لا لورقة "توطين علم النفس في السودان" في المؤتمر الثاني للجمعية النفسية السودانية 2005.

أهدي هذا الكتاب لابنتي كرم
التي تسقي شجرة توطين علم النفس لتبرعم وتخضر



كما أهديه لابنتي العزيزة قيس وابني قيس
ولزوجي الفضلي الدكتور إخلاص عشرة
الذين تحملوا معي، في سبيل البحث السيكولوجي، ما لا يتحمله الجن.

نبذة عن المؤلف

د. عمر هارون الخليفة، تخرج بمرتبة الشرف الأولى في قسم علم النفس، جامعة الخرطوم. نال درجة الدكتوراة من جامعة نيوكاسل ابن تايّن، بريطانيا. عمل مساعد تدريس بجامعة الخرطوم، وأستاذا مساعدا بجامعة البحرين، وأستاذا مشاركا بجامعة الخرطوم، وأستاذا باحثا لعلم النفس بوزارة العلوم والتقانة بالسودان، وأستاذا زائرا بجامعة كويوتو باليابان. يشمل اهتمامه البحثي الذكاء والإبداع، والأطفال الموهوبين، وتاريخ علم النفس. مؤلف كتاب "علم النفس والمخبرات"، و"علم النفس التجريبي في التراث العربي الإسلامي" الذين نشرتهما "المؤسسة العربية للدراسات والنشر" ببيروت 2000، و2002 على التوالي. ومؤلف كتاب "الأطفال الخوارق والموهوبين في العالم العربي" والذي نشرته دار دبيونو للنشر 2008، وكتاب "أزمة علماء النفس في التعليم العالي" قيد النشر، وكتاب "توطيّن علم النفس في العالم العربي" دار الفكر 2008. نشر أكثر من 120 بحثا في دوريات عالمية (أمريكا وبريطانيا وألمانيا والسويد واليابان) ودوريات إقليمية (المغرب، الجزائر، تونس، مصر، السعودية، اليمن، الكويت، الأردن، البحرين، لبنان، السودان). نال جائزة للبحث العلمي من الرابطة العالمية لعلم الاجتماع عام 1994، وجائزة للبحث العلمي من أكاديمية أكسفورد للدراسات العالية عام 1995، وجائزة عبد الحميد شومان للباحثين العرب الشباب في علم النفس لعام 1996، وجائزة التميز في البحث العلمي، جامعة البحرين عام 1999 وجائزة شبكة العلوم النفسية العربية عام 2010. عضو في أكثر من عشر جمعيات وروابط ومنظمات عالمية في علم النفس، وعضو في 7 هيئات تحرير دوريات في علم النفس حول العالم. شارك في مئات المؤتمرات المحلية والإقليمية والعالمية. عضو المجلس التنفيذي للرابطة العالمية لعلم النفس عبر الثقافي والممثل الاقليمي لشمال أفريقيا والشرق الأوسط 1998-2002، مندوب السودان في المجلس العالمي لرعاية الأطفال الموهوبين بأمريكا، ومقرر الهيئة القومية لرعاية الأطفال الموهوبين في السودان، ومستشار برنامج اليوسيماس في السودان ومؤسس مشروع طائر السمير.

مقدمة

يعالج هذا الكتاب موضوع ماهية توطين علم النفس في العالم العربي. وفي عقلية الباحث الأسئلة الأخرى المرتبطة بهذا بالتوطين مثل لماذا التوطين؟ ومتى بدأ التوطين؟ وكيف يكون التوطين؟ وسيكون هدفنا باستمرار في هذا الكتاب هو الاستفسار أو التساؤل وابداء الملاحظات والنقد. إن الأفكار التي تطرح في هذه المحاولة التوطينية لعلم النفس هي مبادرات أولية تحتاج إلى مساهمات الآخرين ونقاشهم بغرض الإثراء والإيضاح. وإن الأطروحات المعالجة لا تمثل بأي حال وجهة نظر حاسمة ونهائية وإنما هي مجرد محاولات قابلة للصواب كما هي قابلة للخطأ أيضا. قضيت وقتا، ليس بالقصير، في القراءة والبحث والتأمل والملاحظة والتساؤل لعقدين من الزمان بخصوص توطين علم النفس فقد تكون هناك بعض الأخطاء أو وجهات النظر المختلفة والتي يجب أن ينتبه لها علماء النفس العرب. ويجب على القارئ أن لا يكتفي بعملية إبراز الأخطاء فحسب وإنما تصحيحها وملء المسامات والفجوات الموجودة في الكتاب. وقد يكون التحدي الذي يجابه المهتمين بقضايا توطين علم النفس هو هضم وتجاوز هذه المحاولة البحثية لمحاولة أكثر نضجا وثراء. فهناك أهمية لانتباهه أو خطوات كبيرة لإسراع عملية توطين علم النفس في العلم العربي. فكلما زادت درجة الانتباه كلما زاد النقد السيكولوجي وذلك مما يساعد على إيجاد علم نفس أكثر توطينا في التربة المحلية. ربما لم نناقش بتفاصيل معمقة بعض القضايا المهمة المطروحة في هذا الكتاب وربما نجد من المناسب في هذه الحالة توجيه القارئ لقائمة المراجع التي ربما تكون فيها تفاصيل ليس أكثر فائدة فحسب وإنما أكثر متعة.

يمكن تقديم أطروحة جديدة في هذا الكتاب حول غياب "النقد السيكولوجي" أو سيكولوجيا النقد، أو علم النفس النقدي، أو السيكولوجية النقدية في عملية توطين علم النفس في العالم العربي. وبلغة أخرى، ليس هناك نقاد سيكولوجيون عرب في مستوى النقد التاريخي والنقد الأدبي والنقد الاجتماعي والنقد الثقافي. واهتم هؤلاء النقاد العرب في هذه المجالات الثلاثة بنقد تخصصاتهم وعلومهم بينما لم يهتم علماء النفس العرب بذلك. مثلا هناك عدة مساهمات عربية عملاقة ومعاصرة في نقد الذات أو نقد الواقع الحالي في العالم العربي منها أعمال قسطنطين زريق

"معني النكبة"، وصلاح الدين المنجد "أعمدة النكبة"، والنقد الذاتي بعد الهزيمة، وزكي محمود "تجديد العقل العربي"، و الجابري "نقد العقل العربي"، وصادق العظم "النقد الذاتي بعد الهزيمة"، وأدونيس "الثابت والمتحول"، و حلليم بركات "الثورة والاعتراب في الحياة العربية المعاصرة"، وهشام شرابي "النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين" و عبد الله الغدامي "النقد الثقافي". وليست هناك دراسة عربية واحدة عن النقد السيكلولوجي أسوة بإسهامات العرب في بقية العلوم. وربما من الأحرى في هذه الحالة نقد علماء النفس العرب لأنفسهم وليس نقد علم النفس. عندما ألف مالك بدري كتابه الكلاسيكي الرائع والذي استشهد فيه بدخول علماء النفس لبحر الضب تحدث عن "معضلة علماء النفس" وليس "معضلة علم النفس". وعلى المستوى العالمي اهتم علماء النفس في الدول غير الغربية بنقد وضعية علم النفس وعلماء النفس فيها مثلا أزومة من اليابان، وسنها من الهند، ولاقمي من الفيليبين، ومقدم من إيران، وفاي هو من الصين، وكيم من كوريا، وجيريرو من المكسيك. وسوف نتعرض كثيرا لهذه الأسماء فيما بعد في هذا الكتاب.

إن الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب نقدي في علم النفس في المقام الأول ولهذا السبب يجب أن تكون هذه المسألة واضحة بالنسبة للقراء. ولا يمكن أن يكون النقد فاعلا إلا بنظرة فاحصة وبمجهر حساس لواقع علم النفس في العالم العربي. ووفقا لهذا النوع من النقد، ربما غير المألوف، لا بد أن ترد بعض المواقف أو الأحداث أو الشخصيات المتعلقة بعلم النفس. ومن أجل تحقيق ذلك الهدف يجب أن يكون الباحث أو الكاتب جادا وبعيدا عن المجاملة في ثقافة الولاء والطاعة والتي ليست بها صراحة مع النفس. ويبدو أن الباحث أو الكاتب الجاد لا يتهيب الحديث بصراحة والاتصاف بالشجاعة في وصف الواقع بدقة. وإن أول خطوة في النقد هو الاعتراف بأن هناك مشكلة في علم النفس الراهن ويقضي ذلك الارتفاع عن المجاملات.

وربما تكون هذه العينة من الكتابات النقدية مثل مشرط الجراح شديد الإيلام ولكن شديد العلاج في الوقت نفسه. ومحاولة النقد التي نقدمها في كتاب "توطيبن علم النفس في العام العربي" ليست هي محاولة لتجريح أشخاص وإنما هي للوصف بدقة وبعيدا عن العموميات. وهي ليست مرافعة كما سيظن البعض ضد شخص أو مجرد رد فعل مع موقف محدد، أو ضد مؤسسة إنما تتعلق بوضع علم النفس في العالم العربي. وننطلق في موضوع النقد السيكلولوجي من الفكرة القائلة بأن مشكلات علم النفس ليست معلقة في الهواء وإنما هي مجسدة في سلوك بعض الأشخاص وفي مواقفهم من أنشطة علم النفس مثل المقررات التي تدرس في القاعات، والرسائل والأطروحات العلمية التي تقدم للاجازة، والدراسات والبحوث التي تنشر في الدوريات، والأوراق التي تقدم في المؤتمرات، والمقاييس والاختبارات التي تكيف، والورش والمؤتمرات التي تنظم. وإن الباحث والبحث، أو عالم النفس وعلم النفس لا ينفصلان من بعض. وتبعا لهذه

الفكرة لا يمكن أن يتطور الأشخاص أو المؤسسات ذات العلاقة بعلم النفس إلا في ظل النقد الموضوعي.

قد يقابل النقد السيكولوجي الذي نتبناه في هذا الكتاب نموذج العلوم البحتة والتطبيقية مثلا علم الأحياء وعلم الجيولوجيا، وعلم الأمراض. ويرتبط ذلك بأخذ عينة واحدة من الخلايا أو الصخور أو الدم بالتوالي والتي توضع تحت الميكروسكوب بغرض الفحص ولمعرفة الخصائص. ومن بعد يتم الوصول لتعميمات إلى الجسم العام. وحتى في حقل علم النفس قدمت تحليلات نقدية كثيرة لأب التحليل النفسي سيجموند فرويد الذي لم ينج من مشارط علماء النفس. وتم تشريح سيكولوجي دقيق لشخصية فرويد عندما كتب نظرياته في التحليل النفسي. فإن هذا النموذج النقدي هو فحص غير عادي إنما هو فحص لفائد عالم وأسطوري في علم النفس. فإن الشخصيات العامة مثلا رؤساء أقسام علم النفس أو عمداء الكليات أو رؤساء ومديري التحرير هي شخصيات ليست فردية فحسب وإنما هي شخصيات عامة مسؤولة عن أفكارها وممارساتها لذلك هي عرضة للنقد من قبل الآخرين. لذلك يجب أن يكون علماء النفس وعلماء التربية العرب على استعداد لمواجهة النقد السيكولوجي وأن تكون لهم روح رياضية قوية في استقباله بهدف ترقية الممارسة العملية. وبوسعنا القول بأنه ليس هناك عالم نفس فوق النقد سواء أكان رئيسا لقسم، أو نائبا لعميد كلية، أو مديرا لجامعة، أو زيرا لوزارة، أو حتى رئيسا لدولة.

يقع الكتاب في 6 فصول، عالجت الفصول الأربعة الأولى الأسئلة الكبرى أو ما تسمى بالزوجات الأربع: ما هو توطين علم النفس؟ لماذا توطين علم النفس في العالم العربي؟ وكيف يكون توطين علم النفس؟ ومتى بدأ توطين علم النفس في العالم العربي؟ وعالج الفصلان الخامس والسادس مساهمة مالك بدري في توطين علم النفس ومساهمة الزبير بشير طه في تشريح النصوص السيكولوجية في التراث العربي - الإسلامي.

الكتاب الإلكتروني لشبكة العلوم النفسية العربية: العدد 20



إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2011

